

The status of Bayan Al-Haq Mahmud Al-Nisabauri (T: After 505 AH) in his book (Baher Al-Burhan fi Ma'ani Mushkilat Al-Quran) among scholars of the problem of the Holy Quran

Fadi Ahmad Al-Mashaqba

Ministry of Education || Jordan

Abstract: This study aims to demonstrate the status of Bayan al-Haqq al-Nisaburi in his book Bahir al-Burhan in the meanings of the problems of the Quran compared with some scholars of the problem of the Quran namely Ibn Qutayba in his book Taweel al –Mushkal al-Quran Makki in his book The Proplem of Paraphrasing the Quran and al-Kirmani in his book Secrets of Repetition in the Quran and this comparision relates to the similarities And the difference in terms of their methodology and references in their grammatical morphological and linguistic directives to the problematic Quranic verses and I mentioned this citting the Quran verses that clarify this.

Keywords: The book (Baher Al-Burhan fi Ma'ani Mushkilat Al-Quran), similarities and differences, grammar, morphology.

مكانة بيان الحق محمود النيسابوري (ت: بعد 505هـ) في كتابه (باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن) بين علماء مشكل القرآن الكريم

فادي أحمد المشاقبة

وزارة التربية والتعليم || الأردن

المستخلص: هدفت هذه الدراسة إلى بيان مكانة بيان الحق النيسابوري في كتابه باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن مقارنة مع بعض علماء مشكل القرآن الكريم وهم: ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن وأبو محمد مكي بن أبي طالب في كتابه مشكل إعراب القرآن والكرماني في كتابه أسرار التكرار في القرآن، وهذه المقارنة تتعلق بأوجه الشبه والاختلاف من حيث منهجيتهم ومرجعياتهم في توجيهاتهم النحوية والصرفية واللغوية للآيات القرآنية المشكلة؛ إذ اتفقوا في بعض هذه التوجيهات واختلفوا في بعضها الآخر، وبينت المرجعيات التي اتكأوا عليها في ذلك، والجوانب التي استدلووا به، وقد ذكرت ذلك مستدلاً بالآيات القرآنية التي توضح ذلك.

الكلمات المفتاحية: كتاب (باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن)، أوجه التشابه والاختلاف، النحو، الصرف.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، أما بعد/
فقد جاء موضوع هذه الدراسة "مكانة النيسابوري بين علماء مشكل القرآن الكريم" بهدف تسليط الضوء على العالم الجليل بيان الحق النيسابوري في كتابه باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن وبيان مكانته مقارنة بعلماء مشكل القرآن الكريم ومن أبرزهم: ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن ومكي في كتابه مشكل إعراب القرآن والكرماني في كتابه

أسرار التكرار في القرآن، واعتمد الباحث في دراسته على أساسي: نظري وتطبيقي، أما الأساس النظري فوقفت فيه على التعريف بالنيسابوري (اسمه، وكنيته ولقبه، ووفاته، ومؤلفاته، والباعث لتأليف كتاب باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن).

وأما التطبيقي فرصدت فيه أوجه التشابه والاختلاف بين العلماء السابقين من حيث منهجيتهم ومرجعيتهم في توجيههم للقضايا النحوية والصرفية واللغوية، مستدلاً بذلك بالآيات القرآنية لبيان ذلك.

1- أسئلة الدراسة:

تحدد مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

1. من هو بيان الحق النيسابوري؟
2. ما أوجه الشبه بين النيسابوري في كتابه باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن وكتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ومشكل إعراب القرآن لمكي وأسرار التكرار للكرماني من حيث منهجياتهم ومرجعياتهم في القضايا النحوية والصرفية واللغوية؟
3. ما أوجه الاختلاف بين النيسابوري والعلماء السابقين من حيث منهجياتهم ومرجعياتهم؟

2- فرضيات الدراسة:

تفترض هذه الدراسة أن للنيسابوري مكانة بين علماء مشكل القرآن الكريم، تتشابه معهم في بعض توجيهاتهم النحوية والصرفية واللغوية من حيث المنهجية والمرجعيات، كما أنها تختلف في بعضها الآخر.

3- أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة في إبراز مكانة النيسابوري في كتابه باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، فلم يحظ النيسابوري بالمكانة التي يستحقها، وجاءت هذه الدراسة لإبراز مكانته

4- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. التعرف على بيان الحق النيسابوري.
2. التعرف على أوجه الشبه بين النيسابوري في كتابه باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن وكتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ومشكل إعراب القرآن لمكي وأسرار التكرار للكرماني من حيث منهجياتهم ومرجعياتهم في القضايا النحوية والصرفية واللغوية.
3. توضيح أوجه الاختلاف بين النيسابوري والعلماء السابقين من حيث منهجياتهم ومرجعياتهم.

5- الدراسات السابقة:

ثمة دراسات عديدة عن النيسابوري، لكنها لم تختص بمكانته بين العلماء السابقين، ومنها:

1. دراسة السليحي، يوسف بن صامل، آراء النيسابوري التصريفية في كتابه: باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، المجلد: 2، العدد: 34، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالزقازيق، مصر، 2014. وقد تحدث الباحث فيه عن اعتماد النيسابوري على المعنى في توجيهاته الصرفية، مقسماً كلامه إلى تصريف الأسماء والأفعال وما يشترك بينهما.

2. دراسة السلمي، يوسف بن صامل، المسائل النحوية في كتاب باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن لأبي القاسم محمود بن أبي الحسن النيسابوري المتوفى بعد سنة 553هـ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1429هـ-1430هـ. وقد تحدث فيها الباحث عن النيسابوري والمسائل النحوية التي تناولها في كتابه من أدوات ومدلولاتها وتراكيب نحوية...، وعن أصوله ومصادره النحوية.
- سأقسم البحث إلى جانبين: نظري وتطبيقي:

أولاً- الجانب النظري.

أ- التعريف بالنيسابوري:

1. اسمه: محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي⁽¹⁾، في حين نجد البغدادي ينسبه بالنيسابوري القزويني⁽²⁾.
2. كنيته: "أبو القاسم"⁽³⁾.
3. ألقابه، من ألقابه: بيان الحق، فقد ورد هذا اللقب في مقدمة كتبه⁽⁴⁾، ونجم الدين⁽⁵⁾، وشهاب الدين⁽⁶⁾.
5. وفاته: لا تتحدث المصادر عن مولده ونشأته ووفاته بشكل كبير، بل إن الأخبار عن ذلك قليلة جداً؛ فيذكر البغدادي أن النيسابوري فرغ من تصنيف إيجاز البيان عن معاني القرآن بالخرنوب سنة 553 هـ⁽⁷⁾، فيبدو أن موته كان بعد هذا التاريخ⁽⁸⁾، في حين نجد أن الزركلي يذكر أن وفاته كانت سنة 550 هـ⁽⁹⁾، وهذا كلام يتناقض مع ما ذهب إليه البغدادي من أنه فرغ من إيجاز البيان عن معاني القرآن سنة 553 هـ.

-
- (1). ينظر: الحموي، ياقوت (ت: 626هـ)، معجم الأديب، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ج6، ص2686.
 - وينظر: السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، ج2، ص277.
 - (2). ينظر: البغدادي، إسماعيل بن محمد، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها الهية استانبول 1951، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج2، ص403.
 - (3). البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج2، ص403.
 - (4). ينظر: النيسابوري، بيان الحق محمود، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد باقي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1998، ج1، ص1، وينظر: النيسابوري، بيان الحق محمود، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1415هـ، ج1، ص5، والحموي، ياقوت(626هـ)، معجم الأديب، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج6، ص2686، والسيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج2، ص277، والداوودي، شمس الدين (ت: 945هـ)، طبقات المفسرين، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، ج2، ص312، و حاجي خليفة، مصطفى (ت: 1067هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، 1941، ج1، ص106.
 - (5). ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، ص393.
 - (6). ينظر: حاجي خليفة، المرجع السابق، ج1، ص601.
 - (7). الخرنوب: ذكرها ياقوت الحموي بخجندة وهي بضم أوله وفتح ثانيه ونون ثم دال مهملة، ينظر: معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995، ج2، ص347.
 - (8). ينظر: البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص403، وينظر: مقدمة إيجاز البيان عن معاني القرآن، ج1، ص26.
 - (9). ينظر: الزركلي، شمس الدين أحمد(681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج7، ص167.

6. مؤلفاته:

- نستطيع القول بأن النيسابوري موسوعة في شتى العلوم؛ فقد أبدع في المجالات جميعها، ويكفي في ذلك ما وصفه به ياقوت الحموي، حيث قال عنه: " كان عالما بارعا مفسرا لغويا فقيها متفننا فصيحاً " (10)
- وقد ذكرت سعاد بابقي للنيسابوري نحو واحد وعشرين مؤلفاً في العقيدة والتفسير وعلوم القرآن وعلوم الحديث والفقه وأصوله وعلم البديع والأدب والشعر والعلوم الفلكية، وهي:
1. كتاب في الرد على الباطنية.
 2. كتاب في إبطال مذهب فرقة التعليمية القائلين بالإمام المعصوم.
 3. رسالة في الشبه الاعتقادية وكيف تُنفى.
 4. وضح البرهان في مشكلات القرآن.
 5. باهر البرهان في مشكلات معاني القرآن.
 6. الأسئلة الرائعة والأجوبة الصاعدة إلى حلبة البيان وحلية الإحسان.
 7. غرر الأقاويل في معاني التنزيل.
 8. درر الكلمات على غرر الآيات الموهمة للتعارض والشبهات.
 9. إيجاز البيان في معاني القرآن.
 10. التفصيل للتفسير والتأويل.
 11. جمل الغرائب.
 12. التذكرة والتبصرة في متفق الفقه.
 13. كتاب ملتقى الطرق.
 14. كتاب في أصول الفقه.
 15. كتاب الغلالة في مسألة اليمين على شرب ماء الكوز ولا ماء في الكوز.
 16. قطع الرياض في بدع الاعتراض.
 17. شوارد الشواهد وقلائد القصائد.
 18. شرح الأبيات الواردة في كتاب باهر البرهان.
 19. كتاب خلق الإنسان.
 20. كتاب يشتمل على الألفاظ التي تتوجه إلى صورتين مما جاء في نثر الكلام ونظمه.
 21. كتاب التأثيرات الروحانية. (11)

ب- الباعث في تأليف كتاب باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن :

يذكر النيسابوري في مقدمة كتابه أن الباعث في تأليفه خدمة كتاب الله تعالى المنزل من عنده، وليكون كتابه باهر البرهان بعيداً عن الإطالة والتكرير ليسهل الحفظ، ويكون موضحاً لمشكلات التنزيل بألفاظ جزلة، ويكون موجزاً مع بعض الإطناب لحالات من المشكل، فلا يكون قصيراً مخلاً ولا طويلاً مملاً، يقول: " فإن أفضل العلوم علم كتاب الله النازل من عنده والسبب الواصل بين الله وعبده، وقد وجدت تفاسيره إما مقصورة على قول واحد من الأولين أو مختصة بالتكثير والتكرير، كما هو في مجموعات المتأخرين والطريقة الأولى من فرط إيجازها لا تشفي القلب والثانية تعيي على

(10). الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، مرجع سابق، ج6، ص2686.

(11). ينظر: بابقي، سعاد، مقدمة تحقيق باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، جامعة أم القرى، 1997م، ص98-106.

الحفظ لإطالة القول، فعند ذلك رغبت إلى الله جل وعز في فضل التوفيق لإيضاح مشكلات التنزيل وإحسان التوقيف على غوامض التأويل بلفظ جزل ومخرج سهل وإيجاز في عاقبة الغريب وبعض إطناب في المشكل العويص، وربما جمحت في الرسن بإيراد بعض الشعر الحسن لتمخيض العقل وإجمام الطبع وليتساهم فيه النظر الأدباء والكتاب، كما يستقرئ معانيه العلماء وأولو الألباب.⁽¹²⁾

كما أنه ذكر في كتابه إيجاز البيان عن معاني القرآن أن الهدف من كتابه (باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن) هو الرد على أصحاب الأهواء والطاعنين في القرآن الكريم، فيقول:

" ومن أراد محاوره المتكلمين ومحاضرة المتأدبين فليُنظر من أحد كتابينا إمّا كتاب باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، وإمّا كتاب الأسئلة الرائعة والأجوبة الصاعدة إلى حلبة البيان وحلبة الإحسان... "⁽¹³⁾.

ثانيا- الجانب التطبيقي.

المقارنة بين كتاب باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن للنيسابوري وكتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ومشكل إعراب القرآن لمكي وأسرار التكرار في القرآن للكرماني من حيث أوجه الشبه والاختلاف في المنهجية والمرجعيات: تم ذلك

عقدت مقارنة بين كتاب باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن للنيسابوري وكتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وكتاب مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب وكتاب أسرار التكرار في القرآن للكرماني من حيث منهجيتهم ومرجعياتهم في توجيهاتهم النحوية والصرفية واللغوية والآيات القرآنية المشكلة؛ إذ اتفقوا في بعض هذه التوجيهات واختلفوا في بعضها الآخر، وبينت المرجعيات التي عليها في ذلك، والجوانب التي استدلوها، وقد ذكرت ذلك مستدلا بالآيات القرآنية التي توضح ذلك.

1- أوجه الشبه:

ثمة أوجه شبه بين النيسابوري وكتب المشكل الأخرى وبخاصة كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وستكون هذه الأوجه من حيث منهجيتهم في عرضهم لآيات المشكل في القرآن الكريم، إضافة إلى مرجعياتهم التي اتكأوا عليها في توجيهاتهم وتعليقاتهم في الظواهر التي تناولوها في كتبهم، وقد اعتمدت في منهجي في معالجة القضايا الترتيب الآتي: القضايا النحوية ثم القضايا الصرفية ثم القضايا اللغوية، ثم الحديث عن الجانب الديني الذي كان واضحا في معالجتهم بشكل علم، وتشابههم في منهجية الترجيح عند تناولهم للمسائل عامة، مينا في هذه القضايا منهجية كل منهم ومرجعياته في معالجة هذه القضايا في آيات مشكل القرآن الكريم:

1. القضايا النحوية:

ثمة قضايا نحوية عديدة اتفق فيها العلماء السابقون في تناولها توجيها وتعليلا، وقد اخترت ثلاث قضايا نحوية: لأنها أكثر وضوحا لتلك القضايا التي اتفقوا عليها، كما أنها تمثل قضايا النحو بشكل واضح.

ومن الأمثلة على ذلك:

1- ويكأن: في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَتْهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: 82] نرى ابن قتيبة تناول لفظ ويكأن

(12). النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج1، ص 2-1.

(13). النيسابوري، إيجاز البيان عن معاني القرآن، ج1، ص 56 ينظر: السلمي، يوسف بن صامل، آراء النيسابوري التصريفية في كتابه: باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ص 945.

تناولا نحويا ويوجهه انطلاقا من ذلك وأنها بمعنى: ألم تر، ويذكر قول الخليل إنها مفصولة: وي، ثم تبتدىء، فنقول: كأن الله، وقال بعضهم: ويكأن: أي رحمة لك، بلغة حمير.⁽¹⁴⁾

يتناول ابن قتيبة لفظ ويكأن ويوجهها نحويا فيوضح معناها، وأصلها نحويا، وما قيل عنها، فيذكر قول الخليل وغيره في معالجتهم لذلك اللفظ من ناحية نحوية.

ويوافق مكي ما جاء عند ابن قتيبة في توجيهه للفظ السابق، وأن ويكأن الله أصلها: وي منفصلة وهي كلمة يقولها المتندم إذا أظهر ندامته.⁽¹⁵⁾

ويسير مكي في ذلك على منهجية ابن قتيبة في توجيهه النحوي، معتمدا في ذلك على ما ذكره العلماء قبله في كلمة ويكأن.

ويوافق الكرمانى ابن قتيبة ومكيا، وأن ويكأن أصلها: وي، كلمة يستعملها النادم بإظهار ندامته، وهي مفصولة من كآته، وقال بعضهم: أصله ويلك.⁽¹⁶⁾

ويوافق النيسابوري ما جاء عند ابن قتيبة ومكي والكرمانى في توجيهه للفظ السابق توجيهها نحويا؛ فيبين أنها وي مفصول، وهو اسم سمي به الفعل، أي: اعجب، ثم ابتداء وقال: كأن الله يبسط، وقيل: إنه ويك ومعناه: ألم تر، أو لم تعلم، أو معناه: وبع أو ويلك، والمراد بالجميع التنبيه.⁽¹⁷⁾

وفي ذلك تشابه بينه وبين ابن قتيبة ومكي والكرمانى، في منهجيتهم في تناول هذه اللفظة، وبيان أصلها النحوي، وهو في ذلك يتكئ على ما ذكره العلماء السابقون كالخليل وسيبويه والفراء وغيرهم، وهو ما كان موجودا عند ابن قتيبة، مع ملاحظة أن ما ذكره ابن قتيبة أعاده النيسابوري في معالجته لهذه اللفظة.

يلحظ تشابه العلماء السابقين في توجيهه هذا اللفظ وبيان أصله ومعناه، مستندين في ذلك إلى مرجعيتهم بما ورد عند العلماء السابقين كالخليل وسيبويه والفراء وغيرهم.

2- ولات: في قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلاَتَ حِينٍ مَنَاصٍ﴾ [ص: 3]

نجد ابن قتيبة يوجه هذه الآية توجيهها نحويا وأنها مشبهة بليس ولم تمكن تمكنا، ولم يستعملوها إلا مضمرًا فيها، لأنها ليست ك(ليس) في المخاطبة والإخبار، عن غائب، ألا ترى أنك تقول: ليست وليسوا، وعبد الله ليس ذاهبا، فتبني عليها، و (لات) لا يكون فيها ذلك، قال الله تعالى: ولات حين مناص [ص: 3]، أي ليس حين مهرب.⁽¹⁸⁾

وهو في ذلك يعتمد في توجيهه هذا على ما جاء عند العلماء السابقين في أن لات بمعنى ليس.

ويوافق مكي ما جاء عند ابن قتيبة بأن المعنى: وليس الحين حين مناص، أي: ليس الوقت وقت مهرب.⁽¹⁹⁾

ويوافق النيسابوري ابن قتيبة ومكيا، فيذكر أن معنى الآية ليس حين، ولا تعمل لات بالنصب إلا في الحين وحده، لأنها مشبهة بليس فلا تقوى قوة المشبه به.⁽²⁰⁾

(14). ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (276هـ)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 281.

(15). ينظر: مكي، أبو محمد ابن أبي طالب (437هـ)، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ، ج2، ص548.

(16). ينظر: الكرمانى، أسرار التكرار في القرآن المسعى البرهان في توجيهه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، د.ت، ص197.

(17). ينظر: النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج2، ص1087-1088.

(18). ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص282.

(19). ينظر: مكي، مشكل إعراب القرآن، ج2، ص623.

نلاحظ أن ابن قتيبة ومكيا والنيسابوري يتفقون في توجيههم النحوي لكلمة (لات): فيجمعون على أنها بمعنى ليس معتمدين في ذلك على ما نقلوه عن العلماء السابقين، مع ملاحظة أنهم لا يشيرون إلى من ينقلون عنه، ومرجعيتهم في النقل واضحة.

3- هلمّ: في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:

[18]

يذكر ابن قتيبة توجيهه النحوي لكلمة (هلمّ)، وأنها بمعنى تعال، وتوصل باللام، فيقال: هلم لك، وهلم لكما، قال الخليل: أصلها (لم) زيدت الهاء في أولها.⁽²¹⁾

يلحظ توجيه ابن قتيبة النحوي لكلمة (هلمّ) وأن أصلها لم، ثم زيدت الهاء في أولها، وهو يعتمد في ذلك على ما ينقله عن الخليل.

ويقترب مكيا من توجيه ابن قتيبة لكلمة (هلمّ): فيرى أن أصلها ها المُمّ؛ فهي للتنبيه، ثم حذفت همزة المم وتحركت اللام بضمة الميم الأولى عند الإدغام فصارت هالمّ فحذفت ألفها لسكونها وسكون اللام بعدها، وقيل: إن ألفها إنما حذفت لسكونها وسكون اللام قبل أن تلتقى حركة الميم الأولى على اللام فصارت هلمّم، فألقت حركة الميم الأولى وأدغمت في التي بعدها فصارت هلمّم.⁽²²⁾

ويوافق النيسابوري ما جاء عند ابن قتيبة ومكيا وأن أصل هلمّم لم، أي: لم بنا، ثم دخلت عليها هاء التنبيه فصار هالمّم فحذفت الألف تخفيفاً.⁽²³⁾

وهو بذلك يوجهها نحوياً مشابهاً لما ذكره ابن قتيبة ومكيا، معتمداً في ذلك على ما هو عند الخليل وسيبويه، فنلاحظ تشابههم في كثرة نقلهم عن المدرسة البصرية، وهم متفقون في هذه المعالجات النحوية ويسيرون على خطى مشتركة، وهذه النماذج الثلاثة تسلط الضوء على اتفاقهم في معالجتهم للقضايا النحوية بشكل عام.

2. القضايا الصرفية:

ثمة مسائل صرفية كثيرة تسلط الضوء على اتفاق العلماء السابقين في معالجتهم وتحليلهم لكثير من القضايا الصرفية، وقد اخترت ثلاث قضايا تعطينا صورة عن ذلك، ووجدت هذه القضايا أكثر إيضاحاً لتلك المعالجة مع بروز ذلك الاتفاق بشكل واضح الوزن الصرفي لكلمة (غسلين):

1- قال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ﴾ [الحاقة: 35]

يذكر ابن قتيبة الوزن الصرفي لكلمة (غسلين)، وهو فعيلين من غسلت، كأنه الغسالة، قال بعض المفسرين: هو ما يسيل من أجساد المعذبين.⁽²⁴⁾ نرى ابن قتيبة بيانه للوزن الصرفي لكلمة (غسلين)، ثم ذكره لرأي المفسرين لمعناه، وهو في ذلك يتكئ على ما ذكره المفسرون في ذلك.

ويوافق مكيا ما جاء عند ابن قتيبة في معالجه الصرفية لوزن غسلين، وأنها على وزن فعيلين.⁽²⁵⁾ ومثل ذلك ما نراه عند مكيا أيضاً في توجيهه الصرفي لـ (سجين) في قوله تعالى: "لفي سجين" المطففين 7، فيذكر الوزن الصرفي لكلمة (سجين)، وهو فعيل من السجل والنون بدل اللام، وقيل: هو فعيل من السجن.⁽²⁶⁾

(20). ينظر: النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج2، ص1230.

(21). ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص295.

(22). ينظر: مكيا، مشكل إعراب القرآن، ج2، ص575-576.

(23). ينظر: النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج2، ص1129.

(24). ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص48.

نلاحظ اتفاق ابن قتيبة ومكي في بيان وزن كلمة غسلين، وأنها على وزن فعلين، واعتمادهما على الأصل في ذلك، وهذا ما يؤيده معالجة مكي في كلمة أخرى وهي سجين.

ويذهب النيسابوري أن غسلين على وزن فعلين، غسالة جروحهم وأجوافهم.⁽²⁷⁾

وهو في ذلك يوافق ابن قتيبة ومكي في بيانه لوزن غسلين الصرفي، وهم في ذلك يعتمدون على الميزان الصرفي الذي يتكئ على الأصل اللغوي لبيان وزن الكلمات في اللغة العربية، فيقررون أن أصل غسلين غسل ليكون وزنها الصرفي فعلين، وهذا يدل على تفكيرهم وتعليقهم الصرفي الذي يتوافق ومسألة الأصل اللغوي للكلمات.

أ- قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117]

يذكر ابن قتيبة أن (فعليل) قد تأتي بمعنى مُفْعِل، فقوله تعالى في الآية السابقة بديع جاءت بمعنى مبدعها، وفي قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: 10]، يذكر ابن قتيبة أن معنى أليم مؤلم⁽²⁸⁾.

وهو في ذلك يعتمد على ما جاء عند القدماء في هذه المسألة، فقد يأتي وزن معين بمعنى وزن آخر. ويوافق مكي ابن قتيبة في معالجته الصرفية فيذكر في الآية السابقة أن أليم بمعنى مؤلم.⁽²⁹⁾ أما الكرمانى فلم يتطرق إلى هذه المسألة.

ويوافق النيسابوري ما قبله في بيانه للوزن الصرفي للألفاظ، فيذكر في قوله تعالى: "بقلب سليم" الشعراء 89، أن (سليم) بمعنى مُسْلِم، أي أن (فعليل) بمعنى مُفْعِل.⁽³⁰⁾

نلاحظ مما سبق تشابه المنهجية بين العلماء السابقين في معالجتهم وتوجيههم الصرفي للألفاظ، وذلك ببيان وزنها ومعناها متكئين على تحليلاتهم الصرفية واستنباط القواعد من المعنى المستفاد من السياق، فالمعنى يحدد من سياقه ليعطي المعنى والدلالة المراد إيصالها

ب- قوله تعالى: ﴿قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: 43]

فيذكر ابن قتيبة أن صيغة فاعل قد تأتي بمعنى مفعول، فعاصم في الآية السابقة بمعنى معصوم، أي: لا معصوم من أمره، ومثله قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6]، أي مدقوق⁽³¹⁾، فبين أن (عاصم) بمعنى معصوم ودافق بمعنى مدفوق.

ويوافق مكي ما جاء عند ابن قتيبة في توجيهه الصرفي بأن صيغة فاعل تأتي بمعنى مفعول، فيذكر أن كلمة عاصم في الآية السابقة بمعنى معصوم، فيكون التقدير: لا معصوم من أمر الله اليوم إلا المرحوم.⁽³²⁾

أما الكرمانى لم يتعرض لذلك، في حين أن النيسابوري لم يتعرض لهذه الآية الكريمة، لكنه تعرض لآية أخرى وهي قوله تعالى: "كثيلاً مهيباً" [المزمل: 14]، حيث يذكر أن مهيباً مفعول بمعنى رملا سائلاً، أي: على وزن فاعل.

(25). ينظر: مكي، مشكل إعراب القرآن، ج 2، ص 499.

(26). ينظر: مكي، المرجع السابق، ج 2، ص 806.

(27). ينظر: النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج 3، ص 1544.

(28). ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 181.

(29). ينظر: مكي، مشكل إعراب القرآن، ج 1، ص 78.

(30). ينظر: النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج 2، ص 1041.

(31). ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 180.

(32). ينظر: مكي، مشكل إعراب القرآن، ج 1، ص 366.

نلاحظ مما سبق اتفاق العلماء السابقين وبخاصة ابن قتيبة ومكي والنيسابوري في معالجتهم للقضايا الصرفية من أوزان وأصول لغوية ومعان للمشتقات، لتتضح أمامنا هذه المعالجة بعيدا عن التأويلات البعيدة.

3. القضايا اللغوية:

ثمة تشابه بين علماء مشكل القرآن السابقين في تناولهم المسائل اللغوية من حيث المنهجية والمرجعية في ذلك، وسأذكر بعضا من هذه القضايا، مختارا نماذج مختلفة تغطي هذه المسائل، وسأختار الآيات التي تمثل هذه المسائل بشكل واضح، وهي في الأغلب تتعلق بالمعنى المعجمي للكلمات وبيان سبب تسميتها، وسأركز على ابن قتيبة ومكي والنيسابوري بشكل واضح؛ لوضوح هذه المسائل واتفاقهم أكثر من الكرمانى.

1- قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۚ كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: 32-33].

يبدأ ابن قتيبة في بيان سبب تسمية السود من الإبل صفرا، معتمدا في ذلك على ما جاء عند العلماء السابقين كالفراء، فيقول: " وإنما سميت السود من الإبل صفرا؛ لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة، كما قيل لبعض الظباء: آدم، لأن بياضها تعلقه كدرة" (33).

وهو في ذلك يعتمد على ما جاء عند قبله من العلماء كالفراء، فقد ذكر سبب تسمية السود من الإبل صفرا؛ وذلك إذا كانت مشربة بصفرة. (34)

ويوافق النيسابوري ما جاء عند ابن قتيبة في معالجه اللغوية في الآية السابقة، فيقول: " والصفرة: السود؛ لأن سود الإبل فيها مشكلة من صفرة، أي: خلطة" (35)، فمنهجيتهما متطابقة تماما في ذكر معنى الصفرة وسبب تسمية الإبل بالصفرة، منطلقين مما ورد عند العلماء السابقين، كما أن النيسابوري ينقل ما جاء عند ابن قتيبة في ذلك معتمدين على المعنى المعجمي لكلمة صفر، وهو الإبل السوداء المشربة بالصفرة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: 81]

يوجه ابن قتيبة لفظ العابدين توجيهها لغويا، معتمدا في ذلك على ما ينقله عن العلماء السابقين، فيذكر أن معنى العابدين الموحدون، فإن كان للرحمن ولد في ادعائكم فأنا أول الموحدين، ومن وحّد الله فقد عبده، ومن جعل له ولدا أو ندا فليس من العابدين وإن اجتهد، وقد يكون معنى العابدين الغضاب الأنفين، فيقال: عبدت من كذا أعبد عبدا، وأكثر ما تأتي الأسماء من فعل يفعل على فعل، كقوله: وجل يوجل فهو وجل، وفزع يفزع فهو فزع، وربما جاء على فاعل، نحو: علم يعلم فهو عالم. (36)

يوافق مكي في توجيه ابن قتيبة اللغوي وأنها بمعنى العابدين من العبادة ومعنى الجاحدين. (37)

في حين لم يتعرض الكرمانى لتلك اللفظة، ويوافق النيسابوري توجيه ابن قتيبة ومكي في تأويلهما لمعنى العابدين، ذاكرا التوجيهين اللغويين السابقين، وأن العابدين هنا من عبّد يعبّد إذا أنفّ فسره بعض علماء البصرة، فقال

(33). ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 194.

(34). ينظر: الفراء، يحيى بن زياد (ت: 207هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشليبي، ط 1، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ج 3، ص 225.

(35). النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج 3، ص 1611.

(36). ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 217.

(37). ينظر: مكي، مشكل إعراب القرآن، ج 2، ص 651.

له ملحد: إنما أنزل القرآن على العرب وهذا كلامها، والمعنى: وأنا أول العابدين، على أنه واحد ليس له ولد، ويجوز أن يكون معنى العابدين: الموحدين؛ لأن كل من يعبده يوحد، وكل من يوحد يعبد. (38)

نلاحظ معالجتهم لفظ العابدين معالجة لغوية وبيان المعاني المحتملة لها، معتمدين في ذلك على اطلاعهم الواضح ونقلهم عن السابقين، وكذلك اعتمادهم على المعنى المعجمي لتلك اللفظة وربطها بالسياق. ومثلها قوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: 34].

نجد الكرمانى يوجه لفظ الطامة توجيه لغوي، وأنها مشتقة من طممت البئر إذا كبستها وسميت القيامة طامة؛ لأنها تكبس كل شيء وتكسره، وسميت الصاخة والصاخة من الصخ الصوت الشديد؛ لأنه بشدة صوتها يجثو لها الناس كما ينتبه النائم بالصوت الشديد. (39)

نلاحظ تشابه توجيههم اللغوي للفظ معين، وذلك بالعودة إلى أصله اللغوي وبيان معناه ثم ربطه بمعنى الآية.

2- قال تعالى: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: 52]

يفسر ابن قتيبة معنى التناوش بالتناول، أي: كيف لهم بنيل ما يطلبون من الإيمان في هذا الوقت الذي لا يقال فيه كافر ولا تقبل توبته؟ (40)

ويوافق مكي ابن قتيبة بأن المعنى: من أين لهم تناول التوبة بعد الموت. (41)

ويوافق النيسابوري سابقه في أن المعنى التناول، أي: كيف يكون التناول من بعيد لما كان قريباً منهم فلم يتناولوه. (42)

نلاحظ في الآية السابقة التوجيه اللغوي عند العلماء السابقين، وأن معنى التناوش التناول، وربطه بالآية السابقة، فكيف يتناولون التوبة في هذا الوقت وهو بعد الموت بعد أن كان ذلك قريباً منهم ولم يتناولوه، وهم يعتمدون في ذلك على كلام السابقين كالفراء، إضافة إلى اتكائهم على المعنى المعجمي لكلمة التناوش وربطها بالسياق العام للآية.

وثمة جانب ديني يتكئ عليه العلماء السابقون في بيان معنى آية معينة، فقد يأخذون دلالات الكلمات والعبارات اعتماداً على جاني ديني معين، مثله مثل الجوانب الأخرى التي ذكرناها، ومن الأمثلة على ذلك:

3- قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: 6]

نرى ابن قتيبة يوجه هذه الآية بأن قيام الليل وقراءة القرآن أثقل على المصلي من ساعات النهار...، فأعلم الله نبيه أن الثواب في قيام الليل على قدر شدة الوطأة وثقلها. (43) ففسر معنى الآية اعتماداً على الأجر الكبير لقيام الليل لما فيه من جهد وثقل.

يرى الباحث الجانب الديني حاضراً في توجيه معنى الآية السابقة، وأن قيام الليل له ثواب كبير على قدر تعبته وثقله وجهده.

ويوافق الكرمانى ابن قتيبة في توجيهه الديني للآيات القرآنية المشككة، ففي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2]، يرى الكرمانى أنه تعالى أمر بالتقوى في أحكام الطلاق ثلاث

(38). النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج3، ص1300-1301.

(39). ينظر: الكرمانى، أسرار التكرار في القرآن، ص245.

(40). ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص199.

(41). ينظر: مكي، مشكل إعراب القرآن، ج2، ص590.

(42). ينظر: النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج2، ص1164-1165.

(43). ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص215.

مرات ووعد في كل مرة نوعاً من الجزاء، فقال أولاً: " يجعل له مخرجاً" يخرجها مما دخل فيه وهو يكرهه ويبيح له محبوبه من حيث لا يأمل، وقال في الثاني: يسهل عليه الصعب من أمره، ويبيح له خيراً ممن طلقها، والثالث: وعد عليه أفضل الجزاء وهو ما يكون في الآخرة من النعماء.⁽⁴⁴⁾

ويوافق النيسابوري ابن قتيبة في توجيهه الديني للآية السابقة، وأن ما ينشأ في حفظك من القرآن بالليل أشد موافقة لك لمكان الخلوة وإمكان التفهم لها.⁽⁴⁵⁾ فالجانب الديني حاضر في هذه الآيات الكريمة.

4- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ 20 وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَن يَأْمُرُ بِالْآخِرَةِ مِمَّن هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: 20-21].

يوجه ابن قتيبة الآية السابقة توجيهاً دينياً، وأن تأويل الآية القرآنية أن إبليس لما سأل الله تبارك وتعالى النظره فأنظره، قال: "لأغويهم ولأضلهم ولأمرتهم ولأمنيهم ولأمرتهم فليبتكن آذان الأنعام، ولأمرتهم فليغيرن خلق الله ولأخذن منهم نصيباً مفروضاً"، النساء 119، وليس هو في وقت المقالة مستيقنا أن ما قدره الله فيهم يتم، وإنما قاله ظاناً، فلما اتبعوه وأطاعوه صدق ما ظنه عليهم، أي: فيهم، ثم قال الله تعالى: وما كان تسليطنا إياه إلا لنعلم من يؤمن، أي: المؤمنين من الشاكين.⁽⁴⁶⁾

ويوافق النيسابوري ابن قتيبة في توجيهه للآية السابقة، وأن ظن إبليس أن آدم لما نسي، قال إبليس: لا تكون ذريته إلا ضعافاً عصاة، وما كان له عليهم من سلطان لولا التخلية للمحنة لتظهر المعلوم.⁽⁴⁷⁾

وثمة تشابه بينهم في منهجية الترجيح؛ فنجد أنهم يرجحون رأياً أو قولاً أو توجيهاً اعتماداً على اجتهادهم أو اجتهاد غيرهم وتوجيهه، وهي مسألة واضحة عند معالجتهم للمسائل عامة، ومن الأمثلة على ذلك: قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ يَتِيئَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ فَالِنَارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: 17]

يرجح ابن قتيبة معنى الشاهد بأنه القرآن، معتمداً في ذلك على اجتهاده في ذلك؛ إذ يقول مرجحاً معنى الشاهد: " وهذا أعجب إليّ؛ لأنه يقول: ومن قبله كتاب موسى يعني التوراة إماماً ورحمة قبل القرآن ويشهد له بما قدم الله فيها ذكره"⁽⁴⁸⁾.

ويوافق النيسابوري ابن قتيبة في ترجيحه معنى الشاهد بأنه القرآن؛ لما يتضمنه العقل من وجود الأدلة فهو شاهد للقرآن.⁽⁴⁹⁾

يلحظ منهجيتهما في الترجيح معتمدين على اجتهادهما في ذلك، وأن الشاهد هو القرآن.

5- قال تعالى: ﴿فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: 94]

نجد ابن قتيبة يرجح أن الخطاب للرسول - صلى الله عليه وسلم- على تأويل أن الخطاب للإنسان الشاك فيما جاء من الحق؛ لأن الكلام اتصل حتى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99]، وهذا لا يجوز أن يكون إلا للرسول - صلى الله عليه وسلم-.

(44). ينظر: الكرمانى، أسرار التكرار في القرآن، ص 237-238.

(45). ينظر: النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج 3، ص 157.

(46). ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 190.

(47). ينظر: النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج 2، ص 1157.

(48). ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 226-227.

(49). ينظر: النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج 2، ص 655.

وابن قتيبة ذكر تأويلين في الآية السابقة، فهل الخطاب موجه للنبي - ﷺ - أم للإنسان الشاك في نبوته؟ ثم رجح المذهب الأول - كما تقدم - اعتماداً على ما جاء بعد الآية.

والنيسابوري في ترجيحه يعتمد على ما ورد عند الطبري وابن عطية في ذلك الترجيح. يلحظ مما سبق تشابه العلماء الأربعة: ابن قتيبة ومكي والكرماني والنيسابوري، وبخاصة ابن قتيبة والنيسابوري في منهجيتهم ومرجعياتهم وتوجيهاتهم وترجيحاتهم، سواء أكانت في الجوانب النحوية أو الصرفية واللغوية، وهم يتكئون في ذلك على ما ينقلونه عن العلماء السابقين، وفي بعض الأحيان يعتمدون على اجتهاداتهم في تلك التوجيهات، وفي ذلك يتشابهون في نقلهم عن علماء المدرسة البصرية على الأغلب.

4. أوجه الاختلاف

تناولت في الفكرة السابقة أوجه التشابه بين ابن قتيبة ومكي والكرماني والنيسابوري من حيث منهجيتهم ومرجعيتهم وترجيحاتهم في تناول الآيات القرآنية المشككة، وبخاصة ابن قتيبة والنيسابوري، وهنا تناولت أوجه الاختلاف بينهم، فكما أن هناك تشابهاً في مسائل معينة ثمة اختلاف في تأويل الآيات القرآنية عند كل عالم تختلف عما هو موجود عند عالم ثان، وهذا يعود إلى منهجية كل واحد منهم؛ فكتاب ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن مرتب حسب الموضوعات، وكتاب مكي مشكل إعراب القرآن يهتم بمعاني القرآن لمعرفة إعرابه، وكتاب الكرماني أسرار التكرار في القرآن يهتم ببيان الآيات المتشابهات المكررة في القرآن وتكون ألفاظها متفقة ويكون هناك تغيير في حروفها وبيان سبب هذا التكرار، أما منهجية النيسابوري في كتابه باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن فهو السير على خطى المفسرين القدماء، مهتماً ببيان الآيات القرآنية التي عدّها مشككة، وذكر المعاني المختلفة لتلك الألفاظ مرجحاً في بعضها.

ومن الأمثلة على الاختلاف في المرجعيات:

1- قوله تعالى: ﴿جُنُدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ [ص: 11]، فرى ابن قتيبة يفسر لفظ مهزوم استناداً إلى

مرجعية لغوية، فيقول: "ومهزوم مقموم ذليل، وأصل الهزم: الكسر، ومنه قيل للنفرة في الأرض: هزمة، أي كسرة، وهزمت الجيش: أي كسرتهم، وتمهزمت القربة: أي انكسرت."⁽⁵⁰⁾

في حين نجد أن مكياً يوجهها توجيهاً نحويّاً جاعلاً اهتمامه على الناحية الإعرابية؛ فيذكر إعراب المهزوم بأنه نعت للجند⁽⁵¹⁾.

في حين نجد النيسابوري يعتمد في تفسيرها على سبب نزولها في يوم بدر، فقد بشر الله تعالى نبيهم هزيمتهم، دون بيان معنى المهزوم وأصلها اللغوي كما جاء عند ابن قتيبة⁽⁵²⁾.

ثمة اختلاف في تناول الآيات وتوجيهها، والاعتماد على مرجعيات مختلفة، فابن قتيبة تناول معنى مهزوم لغوياً، في حين يتناوله مكياً نحويّاً مبيناً إعراب كلمة مهزوم لإزالة إشكال إعرابها، في حين يتناول النيسابوري سبب نزولها، وهم في ذلك يختلفون في طريقة تناولهم مع اختلاف الخلفيات التي يتكئون عليها.

ومن أوجه الاختلاف بينهم: طريقة تناول المشكل:

ف نجد ابن قتيبة في منهجيته يتناول قضايا متعددة منها لغوية ونحوية وصرفية وبلاغية، فهو يتناول المشكل بعمومه دون اقتصاره على قضية معينة سواء أكانت لغوية أو نحوية أو صرفية أو غيرها، وإنما كان تركيزه على المشكل

(50). ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 209.

(51). ينظر: مكي، مشكل إعراب القرآن، ج 2، ص 624.

(52). ينظر: النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج 2، ص 1231.

بشكل عام، في حين نجد أن مكيًا كان اهتمامه في المشكل النحوي فقط، فاتجه إلى الجانب النحوي وكان هو الجانب المهيمن على تناوله للمشكل.

في حين نجد أن الكرمانى اتجه إلى بيان اللمسات البيانية في الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع لفظها زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان وبيان السبب في تكرارها.⁽⁵³⁾

في حين نجد النيسابوري يجعل كتابه شاملًا لجميع القضايا اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية وغيرها، وجاء عنده الجانب اللغوي والنحوي والصرفي متكاملًا أكثر مما هو عند ابن قتيبة ومكي والكرمانى، فظهر هذا الجانب جليًا في كتابه باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، وهذا يدل على أن أدلة النيسابوري كانت شمولية؛ حيث أنه أطلع على جميع ما يعينه في إخراجها بالصورة التي كان يريها في ذلك، وكانت أدلته واسعة أكثر من العلماء الآخرين، والسبب في ذلك أن أدواته في توجيه هذه الآيات القرآنية المشكلة بعمومها كانت كثيرة، فهو النحوي واللغوي والصرفي والبلاغي وقد ظهر ذلك في تناوله كثيرًا من الآيات القرآنية المشكلة.

ومن الأمثلة على ذلك:

1- قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: 7]

نجد ابن قتيبة يتناول معنى الضلال لغويًا: بأنه الحيرة والعدول عن الحق والطريق، يقال: ضلَّ عن الحق، كما يقال: ضلَّ عن الطريق، ثم يذكر أن الضلال هو النسيان والناسي للشيء عادل عنه وعن ذكره⁽⁵⁴⁾، فنجد ابن قتيبة يتناول معنى الضلال لغويًا، أما مكي فيتناول ضلالًا نحويًا مكتفيا في ذلك إعراب ضالا وهو مفعول به ثان منصوب.⁽⁵⁵⁾ نرى اختلاف المنهجية في تناول المشكل عند العالمين السابقين، فالأول يتناول ضالا لغويًا والثاني تناولها نحويًا، أما الكرمانى فيتناول سبب تكرار أما في نفس السورة وهو أنها كررت ثلاث مرات؛ لأنها وقعت في مقابلة ثلاث آيات أيضا⁽⁵⁶⁾. نجد منهجية الكرمانى اختلفت عن سابقيه؛ فتركيزه على بيان سبب تكرار هذه الآيات القرآنية، في حين نجد أدوات النيسابوري اللغوية ظاهرة في تناوله لفظًا معينًا، ففي قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكُأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ [الصفوات: 45]، يذكر أربعة أسباب في تسمية الخمر بالمعين على معاني تسمية الماء: إما من ظهورها للعين، أو لامتداد العين بها لطول اتصالها أو عدم انقطاعها، أو لشدة جريها من الإمعان في السير، أو لكثرتها من المعن وهو الشيء الكثير ومنه الماعون لكثرة الانتفاع به.⁽⁵⁷⁾

وهو في ذلك يكون قد استثمر اطلاعه الواسع على من سبقه كالطبري والمارودي والسجستاني وغيرهم في بيان دلالات لفظ معين، كما أنه يوظف المعاني المعجمية لتلك اللفظة، وما تحتمله من معان يقويها في ذلك ما جاء في المعاجم.

وما يختلفون فيه منهجيا، اختلاف طريقة تناول بعض المسائل؛ ومن هذه المسائل:

1. مسألة باب دخول حروف الصفات مكان بعض:

(53). ينظر: الكرمانى، أسرار التكرار في القرآن، ص 63-64.

(54). ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 254.

(55). ينظر: مكي، مشكل إعراب القرآن، ج 2، ص 824.

(56). ينظر: الكرمانى، أسرار التكرار في القرآن، ص 250.

(57). ينظر: النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج 2، ص 1201.

يتحدث ابن قتيبة عن أن (في) تأتي بمعنى على، فيذكر قوله تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَأُلْصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: 71]، أي: على جذوع النخل.⁽⁵⁸⁾

فابن قتيبة يذكر الباب أولاً وهو باب دخول حروف الصفات مكان بعض، ثم يذكر بعده أن (في) مكان على، ثم يذكر الآية.

أما مكي فلا يذكر أبواباً في تناوله لمسألة معينة، وإنما يذكر الآية القرآنية ثم يتناولها لبيات المشكل الإعرابي في ذلك، ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ هَيْمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: 1]

يتحدث عن ما، وأنها في موضع نصب على الاستثناء من هيممة، دون تقسيم الحديث عن ذلك في أبواب.⁽⁵⁹⁾

وأما الكرمانى فيتحدث عن الآيات المتشابهة دون تقسيمها إلى أبواب كما هو عند ابن قتيبة، ودون التركيز على الجانب النحوي كما هو عند مكي، وإنما على بيان سبب التكرار؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَالِي تُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: 61]، وبعده ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ دُوْدٌ﴾ [هود: 90] "لموافقة الفواصل.⁽⁶⁰⁾

وأما النيسابوري فيتحدث عن الآيات القرآنية المشككة دون تقسيم لأبواب معينة، وإنما يتحدث عن الآيات القرآنية دون التركيز على جانب معين، وإنما يبين المعاني اللغوية أو الحالات الإعرابية أو الصرفية أو البلاغية التي تتمثلها هذه الآية، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: 4]، فيذكر أن المعنى أعناقهم جماعتهم، وعنق من الناس: جماعة، وقيل: رؤسائهم، ومن حملها على ظاهرها استعارة، فتذكيرها للإضافة إلى المذكور.⁽⁶¹⁾

نرى طريقة تقسيم تناول الآيات القرآنية تختلف من عالم إلى، مع ملاحظة اختلاف الجوانب التي يتناولها النيسابوري في حديثه عن تلك الآيات القرآنية المشككة. مسألة الترجيحات:

وبما أن اطلاع النيسابوري كان واسعاً بالنسبة إلى غيره فإن مسألة الترجيحات قد ظهرت جلياً؛ فقد يرجح كثيراً من المسائل سواء أكانت نحوية أو صرفية أو لغوية أو دينية أو غيرها، وهو في ذلك يتكئ على ما نقله عن العلماء السابقين، إضافة إلى اجتهاداته العلمية من خلال اطلاعه الواسع. ومن الأمثلة على ذلك:

1. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: 87]، يرجح النيسابوري أن روح القدس هو جبريل عليه السلام، معللاً ذلك بأن الملائكة هم الأرواح الطاهرة، ولأن جبريل عليه السلام هو النازل بالوحي الذي يحيي به العقول حياة الأبدان بالأرواح الهوائية، وكذلك الإضافة إلى القدس توجب هذا على اختلافهم أنه الله أو الطهر أو البركة.⁽⁶²⁾

(58). ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 298.

(59). ينظر: مكي، مشكل إعراب القرآن، ج 1، ص 217.

(60). ينظر: الكرمانى، أسرار التكرار في القرآن، ص 146.

(61). ينظر: النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج 2، ص 1034.

(62). ينظر، النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج 1، ص 107.

والنيسابوري في ترجيحه هذا يوافق الطبري والماوردي، لأنه يعتمد اعتمادا واضحا في نقله وترجيحاته عن العلماء السابقين وبخاصة الطبري والماوردي.⁽⁶³⁾

2. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: 47]

يذكر النيسابوري أن تقديره كما قيل: مخلف رسله وعده، فجاء مقلوبا، ثم يرجح معتمدا على ما ينقله عن العلماء السابقين واجتهاده أن يقرر على اللفظ؛ لأن الإخلاف من الأفعال الجارية على الوجهين: يقال أخلف زيد وعده، وأخلف وعده زيدا، ومثله: أصاب زيد مالا وأصاب زيدا مالا، ووافق زيد حديثنا، إذا صادفهم يتحدثون، ووافق زيدا حديثنا، إذا سره وأعجبه، وأحرز زيد سيفه، إذا صانه في غمده، وأحرز زيدا سيفه، إذا حصنه وصانه من القتل.⁽⁶⁴⁾

نتائج البحث.

1. لم تغب سمة الترجيح في بعض ألفاظ المشكل في القرآن الكريم عند النيسابوري - رحمه الله؛ إذ كان يرجح بعض المعاني معتمدا في ذلك على اطلاعه وعلمه الواسعين، إضافة إلى ما نقله عن العلماء الآخرين.
2. ثمة تشابه بين منهجية النيسابوري وابن قتيبة ومكي والكرماني في توجهاتهم النحوية والصرفية واللغوية ومرجعياتهم في بعض المواضع، كما أن ثمة اختلافا في مواضع أخرى.
3. كان كتاب باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن بمنزلة متأثرا بالعلماء السابقين في كثير من القضايا النحوية والصرفية واللغوية وغيرها) اتكأ النيسابوري على المعاني المعجمية لبيان الدلالات المختلفة للآيات القرآنية المشكلة. إن موضوع المشكل في القرآن الكريم قد نضج عند النيسابوري أكثر مما هو عند العلماء الآخرين؛ فلم يغفل جانبا من جوانب المشكل في القرآن الكريم، ومن الأمور التي تميز بها النيسابوري ترجيحه لمسائل المشكل، فكما رأينا كان يرجح قولاً معيناً، ويبين ويعلل ذلك، وكذلك لم يغفل إيراد بعض اللمسات البيانية في القرآن الكريم، مع ملاحظة أن النيسابوري على سعة اطلاعه كان يهتم بالنقل عن العلماء الآخرين اهتماما واضحا.

المناقشة.

يلحظ مما سبق من خلال عقد المقارنة بين كتاب باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن للنيسابوري وكتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة وكتاب مشكل إعراب القرآن لمكي وكتاب أسرار التكرار في القرآن للكرماني من حيث أوجه الشبه والاختلاف في منهجياتهم ومرجعياتهم وترجيحاتهم أن النيسابوري قد اهتم بالمشكل بجوانبه اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية والفقهية جميعها، فهو يدرس المشكل بعمومه، مع ملاحظة اهتمامه بالجانب اللغوي أكثر من غيره؛ وهذا يعود إلى دور اللغة وعلاقتها بالعلوم الأخرى، فاللغة هي الأداة الأولى للغوص في العلوم الأخرى، من فقه ونحو وعقيدة وتفسير وبلاغة وأدب وغيرها، وقد برع النيسابوري في ذلك كله.

إن موضوع المشكل في القرآن الكريم قد نضج عند النيسابوري أكثر مما هو عند العلماء الآخرين؛ فلم يغفل جانبا من جوانب المشكل في القرآن الكريم، ومن الأمور التي تميز بها النيسابوري ترجيحه لمسائل المشكل، فكما رأينا كان يرجح قولاً معيناً، ويبين ويعلل ذلك، وكذلك لم يغفل إيراد بعض اللمسات البيانية في القرآن الكريم، مع ملاحظة أن النيسابوري على سعة اطلاعه كان يهتم بالنقل عن العلماء الآخرين اهتماما واضحا.

(63). ينظر: الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: محمد أحمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 2000م، ج2، ص321-322، والماوردي، أبو الحسن (ت: 450هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص156.

(64). ينظر: النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ج2، ص770.

التوصيات والمقترحات.

- بعد تسليط الضوء على مكانة النيسابوري بين علماء مشكل القرآن لا بد من ذكر بعض التوصيات، منها:
1. لا بد من دراسة حياة العلماء الذين قدموا كثيراً لثرائنا القديم، ولم يذع صيتهم بسبب عدم إبراز دورهم الكبير.
 2. دراسة مكانة علمائنا السابقين يعطينا صورة واضحة عن تفكيرهم في معالجتهم لكثير من القضايا، وهذا له دور في تأثرنا في تلك التحليلات.

المصادر والمراجع.

- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (276هـ)، تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- باقي، سعاد، مقدمة تحقيق باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، جامعة أم القرى، 1997م
- البغدادي، إسماعيل بن محمد، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعها الهمية إستانبول 1951، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- حاجي خليفة، مصطفى (ت: 1067هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، 1941.
- الحموي، ياقوت (626هـ): معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
- الحموي، ياقوت (626هـ): معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995.
- الداوودي، شمس الدين (ت: 945هـ)، طبقات المفسرين، راجع النسخة وضبطها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.
- الزركلي، شمس الدين أحمد (681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- السلمي، يوسف بن صامل: آراء النيسابوري التصريفية في كتابه: باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، المجلد: 2، العدد: 34، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالزقازيق، مصر، 2014.
- السلمي، يوسف بن صامل: المسائل النحوية في كتاب باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن لأبي القاسم محمود بن أبي الحسن النيسابوري المتوفى بعد سنة 553هـ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1429هـ-1430هـ.
- السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.
- الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 2000م.
- الفراء، يحيى بن زياد (ت: 207هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط1، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
- الكرمانى، أسرار التكرار في القرآن المسعى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، د.ت.

- الماوردي، أبو الحسن (ت: 450هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مكّي، أبو محمد ابن أبي طالب (437هـ)، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ.
- النيسابوري، بيان الحق محمود، (ت: بعد 505هـ): إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسبي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1415هـ.
- النيسابوري، بيان الحق محمود، (ت: بعد 505هـ): باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد باقبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1998.